الله تعالى فصده بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهات العداوة **فان قلت** كيف
وصف الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه **قلت** ان الله تعالى بين عداوته ما هي
فكانه بين وان لم يشاهد فان زللتم اى علمتم وضللتم وقال ابن عباس اشركتم من بعد ما جاءتكم البينات
اى الدلالات الواضحات فاعلموا ان الله عزيز اى فى نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شئ حكيم
يعنى انه لا ينتقم الا بحق والحكيم هو المصيب فى الامور كلها وفى الاية وعيد وتهديد لمن فى
قلبه شك ونفاق او عنده شبهة فى الدين قوله عز وجل هل ينظرون اى ينتظرون التاركون
الدخول فى السلم والمتبعون خطوات الشيطان الا ان ياتيهم الله فى ظلل جمع ظلة من الغمام يعنى السحاب
الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم اى يستر وقيل هو شئ غير السحاب ولم يكن الا لبنى اسرائيل
فى تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض اى ويأتيهم الملائكة وروى الطبرى فى تفسيره بسند
متصل عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من الغمام طاقات ياتى
الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى
الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حوله الغمام وقيل حوله الرب تبارك وتعالى
واعلم ان هذه الاية من ايات الصفات وللعلماء فى ايات الصفات واحاديث الصفات مذهبان
احدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جاء فى ايات الصفات
واحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله
تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن
سمات الحدث وعن الحركة والسكون قال الكلبى هذا من الذى لا يفسر وقال سفيان بن عيينة
كلما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا
الله ورسوله وكان الزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث
بن سعد واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه يقولون فى هذه الاية وامثالها اقروها
كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة
وانشد بعضهم فى المعنى: عقيدتنا ان ليس مثل صفاته * ولا ذاته شئ عقيدة صائب
نسلم ايات الصفات باسرها * واخبارها للظاهر المتقارب * ونؤيس عنها كنه فهم
عقولنا * وتاويلها فعل اللبيب المناقب * ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم
دين المرء خير المراكب * المذهب الثانى وهو قول جمهور المتكلمين وذلك انه اجمع جميع
المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من اصحاب النظر انه تعالى منزه عن المجئ والذهاب ويدل
على ذلك ان كل ما يصح عليه المجئ والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان
وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك فى حقه
تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الاية ليس مرادا فلا بد من التاويل على سبيل التفصيل
فعلى هذا قيل فى معنى الاية هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بالايات فيكون مجئ الايات مجيا
له على سبيل التفخيم لشان الايات وقيل معناه الا ان ياتيهم امر الله ووجه
هذا التاويل ان الله تعالى قال فى اية اخرى فقال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او
ياتى امر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل فى هذه الاية وقيل معناه ياتيهم الله بما

وعد

وعد من الحسنات والعقاب فحذف ما ياتى به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما ياتى به كان
اسهل عليهم فى باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ وقيل يحتمل ان تكون الفا بمعنى الباء لان بعض
الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بظلل من الغمام
والملائكة والمراد العذاب الذى ياتى من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان
ياتيهم قهر الله وعذابه فى ظلل من الغمام **فان قلت** لم كان اتيان العذاب فى الغمام
قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان اعظم
وافظع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة واهوالها وقضى الامر اى وجب العذاب
وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة والى الله ترجع الامور
اى الى الله تصير امور العباد فى الاخرة **فان قلت** هل كانت ترجع الى غيره **قلت**
ان امور جميع العباد ترجع اليه فى الدنيا والاخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازى
على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب اخر وهو انه لما عبد قوم غيره فى الدنيا واضافوا
افعاله الى سواه ثم اذا كان يوم القيامة انكشف الغطاء ردوا الى الله ما اضافوه الى غيره فى الدنيا
قوله عز وجل سل بنى اسرائيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم امره ان يسال يهود المدينة
وليس المراد بهذا السوال العلم بالايات لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بها باعلام الله اياه
ولكن المراد بهذا السوال التوبيخ والتقريع والمبالغة فى الزجر عن الاعراض عن دلايل الله وترك
الشكر وقيل المراد بهذا السوال التقرير وتذكيرهم النعم التى انعم بها على سلفهم كم اتيناهم من اية بينة
اى من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضا وفلق البحر وانزال
المن والسلوى ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته يعنى يغير الايات التى جاءته من الله لانها هى سبب
الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هى حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك
انهم انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهده الذى عهد اليهم فلم يفوا به فان الله شديد
العقاب يعنى لمن بدل نعمة الله قوله عز وجل زين للذين كفروا الحياة الدنيا نزلت فى مشركى العرب
ابى جهل واصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت
فى المنافقين عبد الله بن ابى واصحابه وقيل نزلت فى رؤسا اليهود ويحتمل انها نزلت فى
الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرا زين بفتح الزاى وذلك لا يمتنع ان يكون
الله تعالى هو المزين لهم بما اظهر فى الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشيا
العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلا لعباده وذلك انه جعل الدنيا دار ابتلا وامتحان
وركب فى الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجا والقسر الذى لا يمكن تركه
بل على سبيل التحبب الذى تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من
قدرها فاعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فاحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين
ان الله تعالى امهلهم فى الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان
المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا
لهم امر الاخرة وقيل اوهموهم ان لا اخرة ليقبلوا على لذات الدنيا والحرص عليها وهذا التاويل
ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)